بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ، والصّلاةُ والسّلامُ على رَسولِ اللهِ وعلى آلهِ وصحبهِ ومَنْ والاهُ ، أمّا بعدُ :
فَفِي اليومِ الثّاني عشر منْ شهرِ ربيعِ الأولِ مِنْ كُلِّ سنةٍ هجريةٍ ، يَتَداعَى الكثيرونَ مِنْ أبناءِ الإسلامِ في مُختلفِ الأقطارِ الإسلاميةِ للاحتفالِ بمناسبةِ(المولدِ النّبويِّ) ، ويُقدّرُ عَددُ المرتادينَ لهذا المولدِ بالملايينِ المملينةِ في بعضِ البلادِ الإسلاميةِ[1] .

و تَتعدّدُ مظاهرُ هذا الاحتفالِ[2] ، ويأخذُ ألواناً متنوعةً مِنَ الابتهاجِ ؛ حيثُ تُزَيّنُ المساجدُ ، وتُنْشدُ فِيها القصائدُ الخاصّةُ بالمولدِ ؛ كما في (قصيدةِ البردةِ) ، وتُنصبُ الخيامُ الكبيرةُ ، وتُغنّى فيها المدائحُ النّبويّةُ ، و غالباً ما يُصاحِبُ ذلكَ اختلاطٌ بينَ الجنسينِ ، ونوعٌ مِنَ التّمايلِ والتّراقصِ ، وتُؤْكلُ خلالَ ذلكَ الحلوى المصنوعةُ خصيصاً لهذا المولدِ ؛ كما تُرْفعُ الأعْلامُ ، وتُحْملُ الرّاياتُ المخصّصةُ لهذهِ المناسبةِ .
وهكذا تَجْرِي أحداثُ المولدِ النّبويِّ ، وتَنْقَضِي سَاعَاتُهُ في جَوٍّ ، يَطْغى عليه المرحُ والضّجيجُ ، و إنّ لَنا –بَعدَ ذلكَ كُلّهِ- أنْ نقولَ لأُولئكَ المشاركينَ في(المولدِ النّبويِّ)-ونَحنُ لَهم نَاصِحونَ مُشفقونَ- : على رِسْلِكُمْ أيُّها المحتفلونَ! فَما هكَذا يَكونُ فَرَحُكم بمولدهِ صَلّى الله عليهِ وسلّمَ!! وما هكَذا يَكونُ تعبيرُكم عنْ محبتهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ!! ، وإنّ الواجبَ عليكم أنْ تَقوموا بِعمليةِ مُراجعةٍ دقيقةٍ لما تَقومونَ بهِ مِنْ أعمالٍ ؛ استناداً على أدواتِ التّمحيصِ والتّحقيقِ الماثلةِ في أُصولِ مِنهاجِ النّبوةِ ، وقَواعدهِ الّتي بِهَا يُعْرفُ الحقُّ منَ الباطلِ، والهدى مِنَ الضّلالِ ؛ كما قَالَ تعالى : {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[الأحقاف : 4] .

وفي ذلكَ يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ-رَحمهُ اللهُ- :
((وَقَدْ طَالَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ اتّخَذَ دِينًا بِقَوْلِهِ } ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ { . فَالْكِتَابُ : الْكِتَابُ ، وَالْأَثَارَةُ كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ السّلَفِ : هِيَ الرِّوَايَةُ وَالْإِسْنَادُ ، وَقَالُوا : هِيَ الْخَطُّ أَيْضًا ؛ إذْ الرِّوَايَةُ وَالْإِسْنَادُ يُكْتَبُ بِالْخَطِّ وَذَلِكَ لِأَنّ الْأَثَارَةَ مِنَ الْأَثَرِ ، فَالْعِلْمُ الّذِي يَقُولُهُ مَنْ يُقْبَلُ قَوْلُهُ يُؤْثَرُ بِالْإِسْنَادِ ، وَيُقَيّدُ بِالْخَطِّ فَيَكُونُ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ)) [3] .

وتَبقى التّساؤلاتُ الملّحةُ :
- مَنْ هُوَ أوّلُ مَنِ احتفلَ بـ(المولدِ النّبويِّ) في تَاريخِ الإسلامِ ؟
- هَلِ احتفلَ سَلفُ الأُمّةِ الكرامُ مِنَ القرونِ الفاضلةِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهم-بـ(المولدِ النّبويِّ) ؟
- هَلِ اتّفقَ المؤَرّخُونَ على تأريخٍ مُعيّنٍ لمولدِ النّبيِّ-صلّى اللهُ عَليهِ وسلّمَ- ؟
- مَا حُكْمُ الشّريعةِ في الاحتفالِ بـ(المولدِ النّبويِّ) ؟

أقولُ وباللهِ التّوفيقُ ؛ إجابةً لهذهِ التّساؤلاتِ الملّحةِ ؛ انطلاقاً مِنَ البراهينِ العلميةِ؛ دَاعياً إلى التّأمّلِ فيها بكُلِّ إنصافٍ ومَوضوعيةٍ :
إنّ أوّلَ مَنِ احتفلَ بـ(المولدِ النّبويِّ) في تَاريخِ الإسلامِ ، هُمْ (بنو عبيدِ القدّاحِ)[4]:
خلفاءُ الدّولةِ الفاطميةِ ؛ كما أبانَ عَنْ هَذهِ الحقيقةِ التاريخيةِ العلامةُ (المقريزيُّ)-رَحمه اللهُ- إذْ يَقولُ تَحتَ عُنوانِ: (ذِكرُ الأيّامِ الّتي كَانَ الخلفاءُ الفَاطميونَ يَتّخذونها أعياداً ومَواسِمَ تَتّسعُ بها أحْوالُ الرّعيةِ وتَكثرُ نِعَمُهم) :
((كَانَ للخُلفاءِ الفَاطميينَ في طُولِ السّنةِ أعيادٌ ومَواسِمُ، وهِي: مَوسمُ رَأسِ السّنةِ، ومَوسِمُ أوّلِ العَامِ، ويَومُ عاشَوراءَ، ومولدُ النّبِيِّ صَلّى اللهُ عليهِ وَسلّم...))[5] .
فَمنْ هُمْ هَؤُلاءِ (بنو عبيدِ القدّاحِ) ؟

يَقولُ عَنْهم شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية- رحمهُ الله- :

((كَانُوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ رَافِضَةٌ وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ : إسْمَاعِيلِيَّةٌ ونصيرية وَقَرَامِطَةٌ بَاطِنِيَّةٌ كَمَا قَالَ فِيهِمْ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ : ظَاهِرُ مَذْهَبِهِمْ الرَّفْضُ وَبَاطِنُهُ الْكُفْرُ الْمَحْضُ ، وَاتَّفَقَ طَوَائِفُ الْمُسْلِمِينَ : عُلَمَاؤُهُمْ وَمُلُوكُهُمْ وَعَامَّتُهُمْ مِنْ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ : عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنَّ قِتَالَهُمْ كَانَ جَائِزًا ؛ بَلْ نَصُّوا عَلَى أَنَّ نَسَبَهُمْ كَانَ بَاطِلًا ، وَأَنَّ جَدَّهُمْ كَانَ عُبَيْدَ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحِ لَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ القدوري إمَامِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الإسفرائيني إمَامِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَمِثْلِ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى إمَامِ الْحَنْبَلِيَّةِ ، وَمِثْلِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إمَامِ الْمَالِكِيَّةِ .

وَصَنَّفَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الطَّيِّبِ فِيهِمْ كِتَابًا فِي كَشْفِ أَسْرَارِهِمْ ، وَسَمَّاهُ "\ كَشْفَ الْأَسْرَارِ وَهَتْكُ الْأَسْتَارِ "\ فِي مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَالَّذِينَ يُوجَدُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِنْ الإسْماعيليّة وَالنُّصَيْرِيَّةِ وَالدُّرْزِيَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَعَانُوا التَّتَارَ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ وَزِيرُ هُولَاكُو "\ النَّصِيرَ الطوسي مِنْ أَئِمَّتِهِمْ،وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَمُلُوكِهِمْ)) [6] .

أَفَبعدَ هَذهِ الحقيقةِ العلميةِ التّاريخيةِ القطعيةِ ، يجوزُ لأحدٍ أنْ يحتفلَ بالمولدِ النّبويِّ، أو يبتهجَ بهِ ، و هُوَ مِنْ صنيعِ أُولئكَ الملاحدةِ الزّنادقةِ ؟!!

أمّا سَلفُ هذهِ الأُمّةِ الكرامِ مِنَ القرونِ الفاضلةِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهم- ؛ فإنّ أهلَ العلمَ قَاطبةً اتّفقوا على أنّ وَاحداً منهم لَمْ يحتفلْ بهذا المولدِ النّبويِّ ، وإنّما هو شَيءٌ أُحْدِثَ بعدهم ؛ كَما نَقلَ ذلكَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية[7] ، و الإمامُ الفاكهانيُّ[8] ، والعلامةُ ابنُ الحاج[9]- رَحمهم اللهُ- .

وَمِنَ الحقَائقِ التّاريخيةِ الثّابتةِ أنّ المؤرّخينَ قَدِ اختلفوا في تحديدِ شَهرٍ مُعيّنٍ ، أوْ يَومٍ معينٍ لمولدِ النّبيِّ- صَلّى اللهُ عليه وسلّمَ- ؛ فَقَالَ بَعْضُهم : إنّهُ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّم وُلِدَ في رَمضانَ ، وَقَال آخرونَ : إنّهُ وُلِدَ في رَبيعِ الأوّلِ .

أمّا يَومُ مَولدِه ؛ فقد اختلفوا فيهِ على خمسةِ أقوالٍ : فَقِيلَ: لليلتينِ خَلتَا مِنْهُ ، وَ قِيلَ: لِعشرٍ خَلونَ مِنْهُ ، وَ قِيلَ: لِثمانٍ خَلونَ مِنْهُ ، وَ قِيلَ: لاثْنَتيْ عَشرة خَلتْ مِنْهُ ، وَ قِيلَ: لِثمانٍ بَقينَ مِنْهُ[01] .

علاوةً عَلَى أنّ الشّهرَ الّذي وُلِدَ فِيهِ نَبِيُّنَا مُحمّدٌ صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّمَ هُو الشّهرُ ذَاتُهُ الّذي تُوفِّيَ فيهِ ؛ كَمَا نَبّهَ على ذلكَ غَيرُ واحدٍ مِنَ أهلِ العلمِ المحقّقينَ[11] .

فَهلْ يُعْقلُ- بَعدئذٍ- أنْ يحتفلَ مُسْلمٌ يُحِبُّ النّبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ حقّاً بيومٍ مَشكوكٍ فِيهِ ؟! أوْ يَفرحَ بيومٍ ماتَ فيه ؟!!

وبعدَ هذه الحقائقِ العلميةِ التاريخيةِ القطعية ، نَصِلُ- بإذنِ الله- إلى النّتيجةِ الحاسمةِ في حُكمِ الاحتفالِ بِـ(المولْدِ النّبويِّ)- بلا تَلجلجٍ ولا مواربةٍ- ، وهو أنّهُ لا يجوزُالاحتفالُ بِـ(المولدِ النّبويِّ) ، وذلكَ مِنْ جهتينِ :

أولاهما : مِنْ جهةِ أصلِ الاحتفالِ ؛ والأخرى : مِنْ جهةِ مآلاتهِ وما يَجُرُّهُ مِنْ مفاسدَ عظيمةٍ .

أمّا مِنْ جهةِ أصلهِ ؛ فَإنّهُ مِنَ البدعِ المحدثةِ في الدّين ؛ لأنّ الرّسولَ صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّم لم يَفْعلْهُ ، ولا خُلفاؤهُ الرّاشدونَ ، وهُمْ أعْلمُ النّاسِ بالسُّنةِ ، وأكملُ حُبّاً لرسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلّم ومُتابعةً لشرعهِ ممنْ بَعدهُم[21] .

وقد ثَبتَ عَنِ النّبيِّ صَلّى اللهُ عليهِ وسَلّم التّحذيرُ الشّديدُ مِنْ إحْداثِ البدعِ والعملِ بها في أحاديثَ كثيرةٍ ، منها :

قَوْلُهُ- صَلّى اللهُ عليه وسلّم- : ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))[31] ، أيْ : مَردودٌ عَليهِ[41] ، وَ قَوْلُهُ- صَلّى اللهُ عليه وسلّم: ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)) [15] .

كَذلكَ فإنّ إحداثَ مثلِ هذه الموالدِ البدعيةِ فِيهِ مَزلقٌ في غايةِ الخطورةِ ، وهو مَاثلٌ في أنّ اللهَ سُبحانَه لم يُكملْ دينَه لهذهِ الأُمّةِ ، وأنّ الرّسولُ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم لم يُبلّغْ ما يَنبغي للأُمّةِ أنْ تَعملَ بهِ ؛ و منْ ثَمّ- وحَاشاه منْ ذلكَ- يَكونُ كاتماً لأمانةِ البلاغِ الّتي أَمَرهُ اللهُ تعالى بأدائها ، وفي هَذا مِنَ المضادّةِ الفَظيعةِ لنصوصِ الكتابِ والسُّنةُ ما اللهُ بهِ عليمٌ ؛ كما في قولهِ تَعالى : } الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[المائدة : [3 ، وقوله تَعالى : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[المائدة: [67

وليسَ ثَمّتَ مجالٌ للشّكِ في أنّ الرّسولُ صلّى اللهُ عَليه وسلّم قد بَلّغَ البلاغَ المبينَ ، كما ثبتَ في الحديثِ الصّحيحِ ، عنْ عبدِ الله بنَ عَمرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّمَ : ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ)) [16] .

أمّا مِنْ جهةِ مآلاتهِ ؛ فَإِنّهُ ؛ كما يَحْكي الواقعُ المشاهدُ ، يَجُرُّ إلى مفاسدَ عظيمةٍ ؛ لعلّ أبْرزها مَا يلي :

1-المفاسدُ الاعتقاديّةُ ؛ وَ هَذا قَائِمٌ في ذَلكَ الغُلُوّ الشّنيعِ الّذي يُخْرِجُ رَسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ منْ مَقامِ البشريةِ إلى مقامِ الألوهيةِ ، و يُصيّرهُ-عياذاً باللهِ- رَبّا يَتوَجّهُ إليهِ النّاسُ في دُعَائِهم ، وَاسْتغاثتِهم ، وطلبِهم للمدَدِ، واعتقادِ أنّهُ يَعْلَمُ الغيبَ ، ونحوِ ذلكَ مِنَ الأُمورِ الكُفريةِ الّتي يَتعاطَاها الكَثيرُ مِنَ النّاسِ حِينَ احْتفالهم بِمولدِ النّبيِّ صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّمَ[71] ، والّتي مَا بُعِثَ رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ إلا لإبطالِهَا والقَضاءِ عَلَيها .

2-المفاسدُ السُّلوكيةُ و الأخلاقيةُ ؛ كاختلاطِ النّساء بالرّجالِ ، واستعمالِ الأغاني والمعازفِ ، وشُربِ المسكراتِ والمخدّراتِ ، وإضاعةِ الأموالِ الطّائلةِ، وقدْ يَقعُ فِيهِ ما هو أعظمُ منْ ذلكَ كُلّهِ ، وهُو مَا تَراهُ مَاثلاً في تَعطيلِ الصّلاةِ الّتي هي أكبرُ شَعيرةٍ في الإسلامِ[81] .

وَاللهُ المسْئُولُ أنْ يُوَفّقَنا وَسَائِرَ المسلمينَ لِلفقهِ في دِينهِ ، والثّباتِ عَليهِ ، وَأنْ يَمُنّ عَلى الجميعِ بِلزومِ السُنّةِ ، وَالحَذرِ مِنَ البدعِ ، إنّهُ جَوادٌ كَريمٌ .

---

(1)-انظر : كتاب المنتدى\"دمعة على التوحيد\" : (ص/84) .

(2)-انظر : كتاب المنتدى\"دمعة على التوحيد\" : (ص/84-25) ، و\" تاريـــــخ الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ومظاهره حول العالم\" لمحمد خالد ثابت ، والكتاب عليه ملحوظاتٌ منهجيةٌ وعقديةٌ خطيرةٌ ؛ فليتنبه لهذا !

(3)-\"مجموع الفتاوى\" : (3/316) ، و\"درء التعارض\" : (1/32) .

(4)-انظر :\"القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل\" : (ص/26-07 و88) للشيخ إسماعيل الأنصاري ؛ فقد أجاد وأفاد في بيان أسماء أهلِ العلمِ الذين أكّدوا هذه الحقيقة .

"\-(5) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار\" : (1/490) للمقريزي .

(6)-\"مجموع الفتاوى\" : (28/635-636) .

(7)-انظر :\"اقتضاء الصراط المستقيم\" : (ص/592) ، و\"الفتاوى الحموية\" : (1/312) .

(8)-انظر :\"الحاوي في الفتاوى "\ : (192-1/190) للعلامة السيوطي .

(9)-انظر :\"المدخل\" : (12-2/11) لابن الحاج .

(01)-انظر :\"البداية والنهاية\" : (261-2/260) ، و\"المواهب اللدنية\" : (132-1/131) للعلامة القسطلاني ، و\"القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل\" : (ص/06-26) .

(11)-انظر : \"القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل\" : (ص/26) .

-(12) انظر : \"حكم الاحتفال بالمولد النبوي\" للشيخ ابن باز.

(31)-أخرجه البخاري في:\"صحيحه\": (959/2، رقم0552)، و مسلم في:\"صحيحه\": (231/5/ح9854) من حديثِ عائشةَ-رضي الله عنها-.

(41)-انظر :\"فتح الباري\" : (20/411) .

(51)-إسناده صحيح.أخرجه الترمذي في :\"سننه\" : 5/44) ، رقم6762) .

(61)-أخرجه مسلم في:\"صحيحه\": (81/6/ح2884) .

-(17) انظر : \"حكم الاحتفال بالمولد النبوي\" للشيخ ابن باز .

(81)-انظر :\"أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام\" : (ص/45) للشيخ محمد بخيت المطيعي ، و\"تفسير المنار\" : (9/96) للشيخ محمد رشيد رضا ، و\"الإبداع في مضار الابتداع\":(ص/621-821) للشيخ علي محفوظ ، و\"حكم الاحتفال بالمولد النبوي\" للشيخِ ابن باز .

كاتب المقالة : أ.النميري بن محمد الصبّار
تاريخ النشر : 10/01/2013
من موقع : قناة نور الحكمة الإلكترونية - صوت علماء الأزهر الشريف بفاقوس
رابط الموقع : WWW.norelhekma.com